المبحث الثالث

تجديد الخطاب الدينى

مفهوم الخطاب الدينى:

تتعدد وتتنوع الآراء حول ماهية الخطاب الدينى، فيذهب البعض إلى أنه اجتهادات علمـاء الديـن فى غير الثوابت التى تتلاءم مع مسـتجدات كل الواقع والمعرفة والتى تصل شـفاهة أو مسـجلة أو مكتوبة إلى الجمهور فيتلقاها بالسماع أو الكتابة فتكسبه المتعة والقدرة على مواجهة متغيرات العصر وعلى التعامل معها بالكفاءة المطلوبة.

وهناك من يعرفه بأنه كل خطاب يدور حوله الإسلام بياناً وعرضاً له، واستلهاماً أو تشـويهاً لحقائقه وتحليلاً أو نقداً لنصوصه أو دعوة إليه أو صداً عنه وسـواء كان ذلك فى المجال الفقهى أم الأدبى وغيرها.

وهنـاك من يرى أن الخطاب الدينى مجموع الأفـكار والتصورات التى يطرحها منتجو الخطاب الدينى فى أى شكل من أشكال الاتصال من خلال مناهج مستحدثة للتعامل مـع النظام العالمى الجديد بقضاياه وإشـكالياته وصيغاً جديدة تتواصل مع التراث بشكل أوسع من مفهوم الاجتهاد الذى اعتبره الفقهاء مدخلاً أساسياً فى تعامل الشريعة مع المتغيرات الحديثة، إن الخطاب الدينى من الضرورى فى إطار ذلك:

(أ) التعامـل مع النظام العالمى الجديد، بمعنى الانفتاح على المنجزات العلمية التى أتاحتهـا الثورة العلميـة والتعرف إلى التصورات الفكريـة العالمية ورصد التطور الحضـارى الذى تمر به المجتمعات الإنسـانية للإفادة مـن الآخر بوعى ناقد، وضرورة أن يراعى الخطاب الدينى فى إطار العالمية والأولويات المشتركة للمجتمع والقضايا المثارة كقضايا الأمن والسلام والعلاقات الدولية وغيرها.

(ب) التواصل مع التراث، بما يعنى الاستفادة من خبرات الأجداد فى المجالات الحضارية المختلفة ببيان مناهجهم وإبراز إسهاماتهم فى جوانب العلم والمعرفة وفهم المداخل التى تعاملوا بها مع الكتاب والسنة باعتبارهما مرجعية الأمة ومصادرها الأصلية بل ومصادر الخطاب الدينى، وهذا ينطوى على دعوة إلى التجديد الذى يحقق الأصالة والمعاصرة، ويتطلب معرفة ثوابت الأمة للتعامل مع آفاق الحياة المعاصرة.

والتطورات العلمية الحادثة فى المجتمع المعاصر خاصة التى تتطلب حكماً دينياً بشأنها، تفرض على الداعية التوجه نحو إعادة النظر فى خطابه الدينى وتطويره بما يجعله ملائماً للأحداث الجارية فى المجتمع ومواكباً لها من حيث محتواه وطريقة عرضه، والاهتمام فيه بالمعاصرة إلى جانب الأصالة، حتى يكون الخطاب الدينى مسايراً لوقائع هذا العصر.

ماهية تجديد الخطاب الدينى:

إن تطوير الخطاب الدينى يعنى مسايرة التشريع فقه الواقع ليحكم النوازل المستجدة والوقائع المعاصرة التى يكشف عنها العلم أو تتمخض عنها أنشطة الحياة بما يوجد لها الحكم الشرعى وفقاً لمصادر الشريعة وأدلتها، إنه يعنى إيجاد الحكم الشرعى الملائم لما يستجد فى حياة الناس من أمور تقتضى هذا الحكم ولم تكن موجودة من قبل، وربما أدى إعماله إلى إعادة النظر فى بعض الأحكام التى تغيرت ظروف إبداء الرأى الفقهى منها.

إنه يعنى عرض الخطاب الدينى تبعاً للتطور المذهل فى علوم الاتصال الحديثة، مع تطوير طرائق عرض الإسلام بما يعود بالتجديد المنشود على كل كلمة يوجهها إلى الناس بحيث يقف من الدين عند جوهره وصفاء مصدره حتى يؤتى ثماره فى تنمية وعى المخاطب وإثراء فكرة وتعميق فهمه، مما يوصل لمنطلق الانتماء والولاء للمعتقد الدينى عبادة وعملاً وسلوكاً ومنهج حياة.

إن تجديد الخطاب الدينى ليس المقصود به تغيير معالم الدين، وليست الدعوة إليه موجهة إلى الإسلام الذى هو دين الله تعالى، إنما هى دعوة إلى أصحاب

العقول خاصة الدعاة الذين يدعون إلى الدين، إلى مراجعة أنفسهم فى مدى فهمهم لكتاب الله تعالى واستمساكهم بشرع الله وترتيب الأولويات مما يجب عليه فعله وما يجب أن يبدأ به، وهذه المراجعة إنما تعنى إعادة ترتيب عقل الداعية الذى بدوره يجدد للأمة دينها، ويبعث فيها روح الإخلاص لله والعمل لسنة رسول الله ﷺ فالتجديد موجه إلى فكر المسلمين وسلوكهم، لأمر الدين وليس إلى الدين نفسه، فالمسلمون بحاجة إلى التجديد فى كل ميدان، ومن رحمة الله تعالى أن يبعث مجدداً على رأس كل مائة سنة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [أخرجه أبو داود فى السنن والحاكم فى المستدرك] .

فتجديد الخطاب الدينى لا يعنى تغيير أدلة الشريعة أو العبث بأحكامها، لكنه يعنى إنزال الحكم المناسب على الفعل المستجد، فهو ضرورة شرعية لا غنى عنها لإعمال ما اختصت به الشريعة من عموم وخلود، وصلاحية لحكم التصرفات المستجدة فى حياة الناس، والنوازل الحادثة وليست عملاً ترفيهيا أو شيئاً ثانوياً. وبدونه سوف ينعزل فقه الشريعة عن واقع الحياة، وهو مالا يرضاه الله ورسوله، فتجديد الخطاب الدينى يمثل الترجمة العملية ليسر الشريعة وعمومها وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس فى كل زمان ومكان، وبدونه يصبح الإسلام محنطاً فى فترة زمنية وعاجزاً عن مسايرة الواقع، ولهذا فإنه يمثل ضرورة شرعية واجبة، وليس اختياراً إنسانياً أو توجيهاً أجنبياً، وبدونه سوف يُظلم الإسلام ظلماً بيناً ونقدم عنه صورة مختلفة تشيع أحقاد أعدائه، وتستثير سخرية خصومه وتحول بينه وبين واقع الحياة، ولهذا كان أمراً متعيناً، بل وواجباً شرعياً.

تجديد الخطاب الدينى من منظور الثقافة العلمية:

يعد اتساع ثقافة الداعية عماد كل تجديد منشود، وكل داعية واسع الثقافة هو واسع الأفق يستطيع أن يكيف خطابه الدينى حسب طبيعة جمهوره

ورواد مسجده، ومشكلات بيئته ومجتمعه، وإذا لم يكن الداعية واسع الثقافة، فهو غير قابل للتجديد، وبالتالى لا يمكن معايشة واقعه، فينعزل عن الناس، وتحدث الفجوة بينه وبين الجمهور ويشعرون أن الداعية فى واد وهم فى واد آخر، فإن أهم ما يميز القائمين بأمانة الخطاب الدينى فى كل مكان وزمان هو مراعاة المقال لمقتضى الحال ومخاطبة الناس على قدر عقولهم بأسلوب يتميز بالمرونة واليسر والبساطة والتشكل بشكل الحياة المعاصرة ليواكب حركة التطور والتجديد.

فتجديد الفكر الدينى وأسلوب عرضه ومحتواه بما يتلاءم مع القضايا المعاصرة فى إطار تعاليم الإسلام، والاستفادة من العلوم الحديثة الطبيعية فى التطوير الفكرى للداعية ليكون داعياً عصرياً مجدداً وليس داعية تقليدياً جامداً يُتهم الإسلام من خلاله بالتخلف والضعف أمام قضايا العصر، ويمل منه مستمعوه لتكرار ما يقدم إليهم من موضوعات، وأسلوب عرض جامد ثابت، فذلك هو التجديد فى الخطاب الدينى المطلوب من الداعية القائم على التوازن بين الأصالة والمعاصرة، والموجه للفكر المعاصر بالفكر الإسلامى المتسع لكل المستجدات الحياتية.

إن نجاح الداعية فى دعوته يتوقف على أن يجدد فى خطابه وينوع فى أسلوبه ووسائله، ويحسن اختيار موضوعه، وإلا أصبح مملاً لجمهور مسجده، فيجب على الداعية أن يجدد فى خطابه بإضافة الجديد إلى علم المستمع، وهذا يقتضى منه القراءة المتواصلة ومراجعة الأهداف ومطالعة النشرات والدوريات والمجلات المتاحة.

ضرورة تجديد الخطاب الدينى وآدابه ومنهجه:

يعد تجديد الخطاب الدينى ضرورة حياتية واجتماعية ودينية فى الوقت نفسه، أما إنه ضرورة حياتية فلأن الدين للحياة، والحياة متجددة، فلابد أن يكون الخطاب الدينى أيضاً متجدداً، وأما إنه ضرورة اجتماعية، فلأن الدين له تأثيره البالغ فى المجتمع وفى تشكيل سلوك الناس أفراداً وجماعات.

فإذا أردنا أن تصل الرسالة الدينية إلى المجتمع لتؤدى الغرض المطلوب من أجل حماية المجتمع من كل أشكال التشدد والتطرف والإرهاب فلا مفر من تجديد الخطاب الدينى.

وأما إنه ضرورة دينية فذلك يأتى انطلاقاً من الحديث النبوى للنبى ﷺ : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [أبو داود] .

الـذى يعنى ضرورة مواكبة متغـيرات كل عصر، وتطـورات الحياة، ولتطوير وتجديد الخطاب الدينى آداب من الضرورى إتباعها منها:

١ – الأخذ بروح الشريعة الإسلامية، الاعتدال وعدم الغلو فى الدين.

٢ – عـدم بـتر النصوص لخدمة توجه راجح أو هوى معين بل لابد من ذكر النص كاملاً، وعلاقته بالنصوص الأخرى ذات الصلة به.

٣ – الاختيـار للنصـوص التـى تخدم الدعوة الإسـلامية، مراعيـاً عاملى الزمان والمكان.

٤ – الالتزام بالآداب الإسلامية عند تقديم الخطاب الدينى.

وذلـك يتطلب مـن القائمين على الخطاب الدينى تبنى منهـج لتطويره وانتقاء موضوعاته بدرجة مقبولة، هذا المنهج يقوم على ضوابط للاختيار السـليم للمحتوى الخطابى بما يواكب متطلبات العصر، ويوافق فلسـفة التجديد فى الخطاب الدينى ومن معايير الاختيار التى يمكن اتباعها أن يكون الاختيار على أساس:

١ – النصوص القرآنية، بإعجازاتها المستقبلية والعلمية وقضاياها الحياتية، زراعية، اجتماعية، اقتصادية إلى آخره.

٢ – النصوص النبوية التى تخدم البيان القرآنى.

٣ – الحقـب الزمنيـة ومـا يرتبط بها من أحداث مشـهودة دينية أو سياسـية أو عسكرية إلى آخره.

٤ – الأمكنـة، ومـا يتعلق بها من قضايا وطنيـة أو دينية، ودلائل إلهية، ومنازل رفيعة وخدماتها الاجتماعية.

٥ – الأحـداث التاريخية دينية أو اجتماعيـة أو وطنية، وكذلك الأحداث الواقعة فى المجتمع.

٦ – التراث الإسلامى، وما به من حكم ومواعظ، وما يتناوله من قضايا، سواء كان هذا التراث دينياً أم علمياً، ذلك بما يتميز به هذا التراث من القابلية:

- للتجديد.
- للتنقية.
- للعالمية.

٧ - المناسبات الدينية أو الوطنية التى تهم المجتمع.

٨ - بواعث الفكر الاستشـرافى للإفادة منه بما يخدم الدين والرد على الشـبهات والمشككين فيه.

٩ - التفسير الموضوعى للقرآن الكريم والسنة النبوية.

١٠ - السلاسل المتصلة بعرض قضية معينة على مراحل أو فترات زمنية متتابعة.

إن هناك ضرورة لتطوير وتجديد الخطاب الدينى حيث إن الشـريعة الإسلامية صالحـة لـكل زمان ومكان وعليها مواكبة المتغـيرات الدولية الجديدة التى فرضت على الخطاب الدينى وأن يجدد نفسـه على اعتبار أنه أقوى أنواع الخطابات التى تؤثر فى تحريك الجماهير لكى تسهم فى دفع مسيرة المجتمع الإسلامى نحو النمو والتقدم واكتسـاب القدرة على المتغيرات المستجدة والتعامل معها وفق ما تتطلبه من كفاءة وإتقان.

إن الحاجـة لتطويـر وتجديد الخطاب الدينى إنما تكمن وراء العديد من الأسـباب أهمها:

١ - إعداد الفرد المسـلم ليكون مشـاركاً ومؤثراً فى مجتمعه وعالمه بطريقة إيجابية فى ضوء أولويات المجتمع.

٢ - الإسهام الفاعل فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب والمجتمعات غير الإسلامية.

٣ - ضعـف أهلية وقدرة الخطاب الدينى على مسـايرة الاتجاهـات العالمية بفكر متجدد يبرز عالمية الإسلام.

٤ - تجنـب وتفادى الضعف القائم على أسـاليب الدعـوة الحديثة من حيث عدم القدرة على توظيفها بعناية فى خدمة الدعوة الإسلامية.

من هنا كان التطوير والتجديد فى الخطاب الدينى أمراً ضرورياً من أجل التأكيد علـى أهمية القضايا المجتمعية وكيفية تناولها بما يبرز الوجه الحضارى للإسـلام والمسلمين وظهور وقائع ومتغيرات حديثة لم يتناولها الخطاب الدينى الموروث بصورة مباشرة ومواكبة ما يسمى بحوار الحضارات ومواجهة ما يسمى بصراع الحضارات، وحاجة المجتمع المعاصر للاجتهاد فـى القضايا المعاصرة، والمتواكب مع متطلبات العولمة، التى تقتضى تصحيح الفهم الخطأ وغير الصحيح عن الإسلام والمسلمين لدى الغرب والدول غير الإسلامية وتغيير هذه الصورة السلبية الذهنية لديهم.

لذلك ينبغى أن يأتى الخطاب الدينى مشتملاً فى مضمونه ومحتواه القضايا ذات الأهمية حالياً ومستقبلاً مثل:

- التركيز على القضايا المعاصرة ومعالجتها.
- إبراز الدور الحضارى للإسلام وفضله على الحضارة الغربية.
- التركيز على التسامح الإسلامى مع أصحاب الديانات الأخرى.
- تأكيد شمولية الدين الإسلامى للمعاملات والأمور الحياتية اليومية.

وحتـى يكـون الخطاب الدينى فاعـلاً فى تناول العديد من القضايا المسـتجدة المتطلبـة لتطويـر الخطاب الدينـى، فمن المهم تطويـع التكنولوجيـات الحديثة وتسـخيرها لخدمة الدعوة الإسلامية، فلا يبقى الخطاب الدينى دون الاستفادة من هذه التكنولوجيات فى مجال الاتصالات والمعلومات واسـتغلال وسـائلها وأدواتها المختلفة حتى الإنترنت والأقمار الصناعية.

عوامل فاعلية الخطاب الدينى:

تسهم العديد من العوامل فى جعل الخطاب الدينى فاعلاً بدرجة كبيرة بصفة- خاصـة الخطاب الموجه إلى الآخر- بعض من هذه العوامل يتعلق بالقائم بالاتصال، وبعضهـا بالرسـالة المقدمة عبر الخطاب، وبعضها بالوسـيلة المقـدم بها الخطاب الدينـى، وبعض منها يتعلق بالجمهور المتلقى لهذا الخطاب، ويمكن إجمال بعض هذه العوامل فيما يلى:

١ – انتقاء واختيار العناصر المؤهلة فى مجال الدعوة والإعلام الإسلامى.
٢ – انشغال الخطاب الدينى بتقويم السلوك العملى فى حياة المسلمين.
٣ – مراعاة الخطاب الدينى لطبيعة وتفكير ولغة المستقبل من الجمهور.
٤ – الإعداد اللغوى والثقافى للقائم بتقديم الخطاب الدينى.
٥ – استعانة الخطاب الدينى بالتقنيات الحديثة.
٦ – انتاج خطاب دينى يعى المستجدات العلمية والتكنولوجية التى تعد نتاجاً مباشراً للعولمة.

لكن حتى يمكن زيادة فاعلية الخطاب الدينى بالدرجة المأمولة فى ظل المتغيرات المعاصرة، علينا:

(أ) تفعيل أساليب وأشكال تقديم الخطاب الدينى بالشكل الذى يناسب الجمهور ويتواءم مع مستحدثات العصر، فيكون هناك الاتصال عن طريق الدعاة بصورة مباشرة فردياً أو جماعياً، واتصال من الوسائل المسموعة والمرئية كشبكة المعلومات الدولية والقنوات التلفازية أو الفضائية، واتصال عبر الوسائل المطبوعة كالصحف والكتب، واتصال من خلال المؤسسات الإسلامية الأهلية والحكومية من خلال الزيارات والندوات بمعنى أن يستفيد الخطاب الدينى بشتى الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة لنشر قيم الإسلام ومبادئه خاصة بين الآخرين.

(ب) توفير كافة المتطلبات اللازمة لتطوير الخطاب الدينى وزيادة فاعليته وإسهاماته فى خدمة قضايا الأمة، وإزالة كافة العقبات والعوائق التى تحد من فاعلية الخطاب الدينى المعاصر التى منها:

– ضعف وعى الدعاة بالقضايا العصرية ومعالجتها إسلامياً ودينياً.
– قصور إحاطة الدعاة بالتقنيات الحديثة فى معالجة الإعلام الإسلامى.
– ضعف المسلمين فى مجالات متعددة ينعكس آثاره على الخطاب الدينى.
– عدم تناسب لغة الخطاب الدينى مع لغة وميول واتجاهات الجمهور المستهدف.

- اتبـاع الخطاب الدينى لأسـاليب نمطية تقليدية لا تسـاعد على إقناع الجمهور بمضمون ومحتوى الخطاب، حيث إنهم لا يحسنون عرض ما لدى المسلمين من ثروة علمية ومعرفية.

لذلك فمن المهم إزاء ذلك تبنى توجهات جديدة من شأنها أن تسهم فى تفعيل الخطاب الدينى منها:

١ - إعـادة تأهيل الدعاة بما يواكب المتغيرات العصرية فى العالم ويجعلهم فاعلين فى الدفاع عن الإسلام.

٢ - اسـتمرارية تدريب الدعاة بالطرق المسـتحدثة فى مجال التدريب التى تواكب مستجدات العصر.

٣ - الاهتمام بالخطاب الدينى الموجه إلى الآخر وفق طبيعة هذه المجتمعات.

٤ - توحيد الفتاوى الشرعية المقدمة من خلال الخطاب الدينى.

٥ - ضرورة تبنى خطاب دينى أكثر تسامحاً مع غير المسلمين.

٦ - تنمية الحس العام لدى الدعاة للوعى بالأحداث الجارية والقضايا المسـتحدثة لمعالجتها دينياً فى خدمة الدعوة والمجتمع.

وقد اهتمت إحدى الدراسات التى قُدمت فى المؤتمر العلمى الأول لقسم الصحافة والإعـلام بكليـة اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر الشـريف الذى يحمل عنوان «الخطاب الإسـلامى فى وسائل الإعلام بين الثوابت الدينية والمتغيرات الدولية فى الفترة من ١٣- ١٦ نوفمبر ٢٠٠٦م، بدراسة اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الدينى، التى أكدت ضرورة تجديد الخطاب الدينى، وزيادة فاعليته لخدمة قضايا الأمة، وإزالة كافة المعوقات التى تحول من فاعلية تطوير الخطاب الدينى.

وأيضاً هناك دراسة قُدّمت لنفس المؤتمر بعنوان «اتجاهات الجمهور نحو الخطاب الدينى، دراسـة ميدانية، على عينة من رواد الحرم المكى الشـريف» وقد بلغ قوام العينة (١٣٢٩) مبحوثاً، وقد كان من أهم نتائجها ضرورة:

(أ) توسيع مجال الخطاب الدينى بحيث يضم لها موضوعات علمية متنوعة يقدم لها بالتوضيح من المنظور الإسلامى، وباستخدام وسائل العرض الحديثة من أمثلة ذلك قضايا الإيدز، والتدخين، والفلك، والنبات. بما يفسح المجال أمام العلوم التطبيقية

للمساهمة فى التوعية الدينية فى إطار من التبسيط العلمى بحيث يستطيع الدعاة تناولها فى الخطاب الدينى فى ضوء تأكيد العلاقة بين العلم والدين.

(ب) الاستعانة بالدعاة الأكفاء لخدمة مجال الدعوة الإسلامية، تكون لديهم القدرة على تطوير الخطاب الدينى وتبنى فلسفته الرامية إلى مواكبته للعصر وقضاياه.

(جـ) الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة لعرض الخطاب الدينى على مدى واسع وعريض لجميع المسلمين وغير المسلمين، وتوظيفها بالطرق المناسبة لإفادة المستمعين أو الجمهور المستهدف دينياً.

وفى دراسة ثالثة قُدِّمت لنفس المؤتمر بعنوان «اتجاهات طلاب الجامعات الفلسطينية نحو الخطاب الإسلامى فى وسائل الإعلام الفلسطينية، وكان من أبرز نتائجها التى استمدت من بحث اتجاهات عينة قوامها (٣٠٠) مبحوث:

١ - أن وسائل الإعلام الإسلامى ذات فاعلية فى تقديم الخطاب الدينى وفى مقدمتها التلفاز والمسجلات الصوتية والإذاعة، وشبكة المعلومات الدولية وغيرها، ذلك يرجع إلى:

- ❑ شموليتها فى تقديم الخطاب الدينى.
- ❑ الموضوعية فى استخدام الخطاب الدينى.
- ❑ المصداقية فى عرض الخطاب الدينى.
- ❑ تنوع محتويات الخطاب الدينى المقدم خلالها.
- ❑ توسيع المعلومات ومقدارها التى تقدم عبر الخطاب الدينى.

٢ - أن هناك ضرورة لتجديد الخطاب الدينى، باستخدام الأساليب المناسبة للتطوير والتجديد ومنها:

- ❑ الاهتمام بالتقنيات الحديثة.
- ❑ معالجة القضايا العصرية من المنظور الإسلامى.
- ❑ الرد الموضوعى والفورى على حملات العداء للدين الإسلامى.

٣ - وجود العديد من العوامل التى تسهم فى تطوير وتجديد الخطاب الدينى ومنها:

- تبنى استراتيجية إسلامية عربية موحدة وواضحة للخطاب الدينى.
- الاهتمام بالقضايا المستحدثة واتباع الوسطية فى أسلوب الخطاب الدينى.
- التعاون والتنسيق بين المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية.
- الاهتمام بمضمون الخطاب الدينى وزيادة مساحته فى وسائل الإعلام الإسلامى.
- تطوير أساليب عرض الخطاب الدينى، والاستفادة من الكوادر الإعلامية المتخصصة فى مجال الإعلام الإسلامى.
- تبنى خطاب دينى يلبى احتياجات المجتمع وقضاياه المختلفة ويتفق مع اهتمامات وميول أفراده ويواكب متطلبات العصر.
- البعد التام وتجنب التطرف الدينى بشتى أساليبه والاعتدال والتوسط فى تناول القضايا.
- الاهتمام بتطوير أشكال الاتصال المستخدمة عبر الخطاب الدينى، وتطوير أساليب تناول القضايا العصرية من خلالها.

وهناك دراسة أجريت بعنوان «وسائل الإقناع والتأثير فى الخطاب الدينى» عام ٢٠٠٥م ، قسمت الخطاب الدينى إلى قسمين أحدهما خاص بالمسلمين، والثانى خاص بغير المسلمين، وأهمية وسائل الإعلام الإسلامى فى تفعيل كلا النوعين من الخطاب الدينى.

ودراسة أخرى أجريت عام ٢٠٠٥ م ، بعنوان «دور الخطاب الدينى بالصحف المصرية فى تلبية احتياجات الجمهور» ، توصلت الدراسة إلى أن أهم الموضوعات التى يجب أن تقدم عبر الخطاب الدينى هى المعلومات ثم العبادات وأخيراً العقائد، وأن أهم مصادر الخطاب الدينى هم الدعاة المشهورون، ثم علماء الأزهر، ثم كبار الكتاب، وأن مصادر الخطاب الدينى عبر وسائل الإعلام هى إذاعة القرآن الكريم ثم الشرائط الدينية، وأخيراً الكتب الدينية.

ويرتبط تجديد الخطاب الدينى بدرجة كبيرة بثقافة الداعية، فالتجديد يتطلب الإطلاع الواسع والبحث المستمر والقراءة الدائمة المتأنية فى أصول الدين وثوابته

والعلم والتكنولوجيا، فلا يكتفى الداعية بما درسه فى مرحلة الإعداد، ولكن عليه مطالعة الجديد فى كل المجالات الحياتية والعلوم المختلفة ويشارك فى الندوات والمؤتمرات المتنوعة المجالات سواء كان مستمعاً أم متحدثاً، فعليه أن يكون مطلعاً على ما يدور حوله فى العالم، ويسعى لتكوين الرأى المناسب حول كل ما يستجد بالبحث والقراءة والمشاورة مع أهل الاختصاص نحو القضية المستحدثة دون تجاهلها وتكوين رأى صحيح حولها.

وتعد الثقافة الواعية الشاملة المتنوعة لدى الداعية هى العنصر الأساسى فى التجديد، ولا يخفى أن قضايا كثيرة جدت على الساحة لم تكن موجودة من قبل هى فى حاجة إلى دراسة وبحث واجتهاد، وكل ذلك لن يكون من الخاملين القانعين بثقافة العامة أو قل القانعين بثقافة السذج البلهاء، فواجب الداعية أن يبحث فيما لديه من كتب، وأن يذهب إلى المكتبات العامة إن اقتضى الأمر، وأن يسأل غيره من أهل الاختصاص وأن يشارك قدر استطاعته زملاءه فى الندوات واللقاءات فيتعلم منها.

فمن المقومات والأركان الأساسية التى لا غنى عنها فى الخطاب الدينى، أن يكون مواكباً للأحداث، ومتأثراً بها، ومعلقاً عليها، ومؤيداً لما هو حق منها، ومؤثراً فيها، فيعلق على هذه القضايا والمشكلات بالأسلوب الحكيم ويعالجها بالطريق القويم.

كذلك فالخطاب الدينى المتجدد لا يمس العقائد والثوابت الدينية، لأن الفكر الإسلامى قائم على التجديد المستمر، والذى يجب أن يكون إما فى الأسلوب بالانتقال من أسلوب الترهيب إلى الترغيب فيجب أن يكون الخطاب الدينى ميسراً على الناس، وإما من ناحية المضمون، بمواكبة الدعوة الإسلامية العصر الذى نعيش فيه ومراعاة ظروف المجتمع ومتغيرات هذا العصر، وهذا يعنى أن المشاكل المجتمعية من الضرورى أن تأخذ مكانها الملائم فى الدعوة الإسلامية كقضية محو الأمية والإدمان والبيئة والسكان فالأساليب والمضامين يجب أن تتغير دون مساس بثوابت وأصول الدين.

مقومات الداعية المجدد فى خطابه الدينى فى ضوء الثقافة العلمية:

تطوير وتجديد الخطاب الدينى وضرورته من جانب الدعاة الموكل إليهم تقديم هذا الخطاب بفكر متطور يواكب مقتضيات العصر ومتطلباته يستوعب كافة القضايا العلمية المستحدثة، يوظف المفاهيم العلمية ومهارات العلوم فى خدمة الدعوة الإسلامية، وتربية أفراد المجتمع علمياً، ذلك كله يرتبط بداعية مجدد فى خطابه الدينى فى إطار امتلاكه لعدد من المقومات والمواصفات الضرورية للتطوير، منها أن:

١ – ينوع فى موضوعات خطابه الدينى وأسلوب عرضها بصورة مستمرة.

٢ – يتابع الأحداث الجارية والقضايا العلمية للإفادة منها فى مجال الدعوة.

٣ – يشاور أهل الاختصاص حول القضايا العصرية التى تتطلب رأياً دينياً حولها وقراراً بشأنها.

٤ – يديم البحث والإطلاع والقراءة فى كل المجالات العلمية والتخصصية والمشاركة فى الندوات العلمية مختلفة المجالات والموضوعات.

٥ – يتناول فى خطابه الدينى موضوعات المعاصرة بصورة متوازنة مع موضوعات الأصالة.

٦ – يوظف العلاقة بين العلم والدين فى خدمة الدعوة وتطوير الخطاب الدينى.

٧ – يستفيد من كل العلوم الحديثة فى المجتمع لتوجيه خطابه الدينى.

٨ – يراجع دائماً فكره الدينى ليلائم متطلبات العصر الحديث.

٩ – يميل نحو تطوير وتجديد الخطاب الدينى ليواكب قضايا العصر ويقنع بضرورة هذا التطوير بل وينفذ إجراءاته عملياً.

فالخطاب الإسلامى عملى يراعى اختلاف الظروف والمكان، يجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين الارتباط بالأصل والاتصال بالعصر، يتناول كافة القضايا المعاصرة ويربطها بالعقيدة لكنه يتطلب أن يكون الداعية مصباح دجى، وإمام هدى، وحليف تقى قبل أن يكون خطيباً مفوهاً ومتحدثاً بارعاً.

موجهات تطوير الخطاب الدينى فى ضوء الثقافة العلمية:

لذلك فمن الضرورى أن تكون هناك من الموجهات التى تكون ضرورية ومتطلبة لتطوير وتجديد الخطاب الدينى فى ظل التطورات العلمية الحادثة فى المجتمع حالياً ومستقبلاً، ومن هذه الموجهات، ينبغى أن يكون الخطاب الدينى موجهاً نحو:

١ – التركيز على قضايا الأصالة والمعاصرة بتوازن مقبول.

٢ – معالجة القضايا العلمية المستحدثة.

٣ – تأكيد وإظهار الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية.

٤ – تنمية الوعى الدينى والعلمى للمسلمين.

٥ – إنماء العقلية الدينية وتكوين العقلية العلمية للدعاة وأفراد المجتمع.

٦ – إبراز استيعاب الإسلام لكل متطلبات العصر العلمية.

٧ – تأكيد الاهتمام بكل العلوم الحديثة فى ضوء ثقافة الإسلام.

٨ – زيادة الاهتمام بتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، ودور العلماء العرب والمسلمين فى تقدم العلوم.

٩ – بيان توظيف منجزات العلوم الطبيعية فى إطار القيم الإسلامية.

١٠ – التوجيه الإسلامى للعلم والتكنولوجيا فى المجتمع.

١١ – التوجه نحو تدعيم العلاقة بين العلم والدين.

١٢ – المساهمة فى تحقيق التربية العلمية لأفراد المجتمع.

وفى دراسة علمية أجريت لفحص مستويات تقدير الدعاة العاملين بوزارة الأوقاف لتطوير وتجديد الخطاب الدينى، لعينة بلغت (٢٠٠) داعية متنوعى المؤهلات الدراسية وسنوات الخبرة وفترات التدريب أثناء الخدمة، وقد كانت محاور التقدير المطلوب الكشف عنها (١٢) محورا دارت حول ما يلى:

١ – مدى الاستفادة من تطوير الخطاب الدينى.

٢ – دور تقديم تطوير الخطاب الدينى فى مجال الدعوة.

٣ – معالجة قضايا الدعوة.

٤ – تطوير فكر الداعية فى ضوء تطوير الخطاب الدينى.

٥ – سرعة تطوير فكر الداعية.
٦ – ضرورة تطوير الخطاب الدينى.
٧ – درجة تطوير الخطاب الدينى.
٨ – مقدار درجة تطوير الخطاب الدينى.
٩ – تطوير أداء الداعية بتطوير الخطاب الدينى.
١٠ – الاستجابة نحو تطوير الخطاب الدينى.
١١ – استجابة الدعاة نحو تطوير الخطاب الدينى.
١٢ – تفهم الداعية لتطوير الخطاب الدينى.

ولقد أظهر الدعاة تقديراً مرتفعاً لفاعلية تطوير الخطاب الدينى فى تنمية فكرهم ومستوى أدائهم وزيادة قدرتهم على معالجة القضايا الدعوية المتنوعة، والقضايا المجتمعية المستحدثة.

ويظهر جدول (٣) مستويات تقدير الدعاة لفاعلية تطوير الخطاب الدينى.

المحور (البعد)	مستوى التقدير
مدى الاستفادة من تطوير الخطاب الدينى	كبير
دور تقديم تطوير الخطاب الدينى فى الدعوة	إيجابى
معالجة قضايا الدعوة	كلها
تطوير فكر الداعية	بدرجة أفضل
سرعة تطوير فكر الداعية	كبيرة
ضرورة تطوير الخطاب الدينى	ضرورية
درجة تطوير الخطاب الدينى	كبيرة
مقدار درجة تطوير الخطاب الدينى	تزداد
تطوير أداء الداعية	عظيم
الاستجابة نحو تطوير الخطاب الدينى	قبول

المحور (البعد)	مستوى التقدير
استجابة الدعاة نحو تطوير الخطاب الدينى	قبول كبير
تفهم الداعية لتطوير الخطاب الدينى	تحسن الأداء

هـذا يدل بدرجة كبيرة على استيعاب الدعاة لفلسفة تطوير الخطاب الدينى ليوائم متطلبات الحياة المعاصرة، وارتفاع مستوى الدافعية الذاتية لديهم نحو تطوير الخطاب الدينى، وأدائهم فيه تمشياً مع قضايا المجتمع ومتطلباته وملاءمته جمهور المستمعين، وهذا فى المقابل يتطلب مستوى مرتفعاً من الثقافة العلمية إلى جانب الثقافة الدينية فى تكامل وظيفى يظهر الترابط بين الثقافتين وإفادة كل منهما الداعية فى تحقيق التطوير الجوهرى الحقيقى فى الخطاب الدينى أسلوباً، وعرضاً، ومحتوى بما ينم عن داعية عصرى يواكب المستجدات الحياتية ويعالجها دينياً بفكر ووعى علمى ودينى يفيد أفراد المجتمع.

وبصفة عامة، فمن الضرورى العمل على زيادة التقارب والتعاون بين علماء الدين الإسلامى خاصة الدعاة منهم والعلماء المتخصصين فى العلوم الطبيعية بشتى مجالاتها، ذلك لأنهم مطالبون جميعاً بأن ينشغلوا بإعادة فحص شامل للثقافة الإسلامية لفهمها والتكامل معها، ويجب عليهم أن يؤمنوا أولاً بحقيقة العلاقة الأكيدة الوطيدة بين العلم والدين، وأن يعملوا كفريق واحد ينطلق فى تفكيره من مسلمات واضحة تقرر أن علوم الوحى لها مكانة متفوقة فى المجتمع الإسلامى وكل الإرشادات والتعاليم يجب أن تنبثق منها.

كذلك الإقرار فى نفس الوقت بأن التوجيه الإسلامى للعلوم الكونية الحديثة إنما يعنى ذلك المجهود الذى يستوعب هذه العلوم داخل هيكل إسلامى بهدف الإفادة منها لجنى أكبر مردود للمجتمع المسلم وأن على هؤلاء العلماء تبعة تنوير المجتمع المسلم بأهمية العلم فى حياته وضرورة امتلاكه كقوة ثقافية ذات أثر كبير فى تفكير الناس وسلوكياتهم وأن عليهم أيضاً واجب الارتقاء بالذوق العلمى وبالثقافة العلمية فى المجتمع الإسلامى.

إضافة إلى ذلك العمل على إحياء التراث العلمى الإسلامى وتحقيقه بلغة العصر وأسلوبه ومصطلحاته بواسطة علماء متخصصين، للوقوف على مابه من نظريات وآراء علمية ذات قيمة معرفية ومنهجية فى تاريخ العلوم، ذلك من باب تأصيل المعرفة الإسلامية، والمفهوم الإسلامى للعلم الشامل، من خلال العمل على توصيف الواقع العلمى المعاصر واستيعابه بالكامل، ودراسته فى ضوء مخرجات إحياء التراث العلمى الإسلامى، الذى يبرز دور العلماء المسلمين فى تقديم العلوم الطبيعية ويبرهن بدرجة كبيرة على العلاقة الوثيقة بين العلم الطبيعى والدين والارتباط الكامل بينهما.

المقومات السامية للخطاب الدينى:

إن الخطاب الدينى إنما يقصد به مجموعة المبادئ العامة التى تكون منهج التعامل مع سلوك الفرد والجماعة المسلمة طبقاً للقواعد الإسلامية الراسخة، ووسائل الإعلان عن هذا المنهج تتم من خلال الأسرة والمدرسة والكتاب والصحيفة والتلفاز، والمذياع والأحزاب السياسية والتجمعات العمالية والرياضية وغيرها من الوسائط الأخرى.

إن الخطاب الدينى هو أشرف خطاب يتبادله الناس فيما بينهم، لأنه خطاب الرسل الكرام مع أقوامهم، ولأنه خطاب المصلحين مع غيرهم، ولأنه خطاب العقلاء الأخيار فيما بينهم، مدح الله تعالى الناطقين به بقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1].

ولكى يرقى الخطاب الدينى إلى مكانته السامية، ويؤدى مهمته الدعوية فى أفراد المجتمع، ويظهر آثاره العميقة فى النفوس، ومكانته الراسخة فى القلوب، ومنزلته التى تهز المشاعر، وتحرك العواطف نحو فعل الخير، فمن الضرورى أن يتوفر فيه عدة مقومات هى:

١ - أن يكون مستمداً من القرآن الكريم، ومستشهداً بهداياته وبتشريعاته وبأحكامه وبآدابه، مشتملاً على الفيض القرآنى الزاخر بكل ما يسعد الناس فى دنياهم وأخراهم.

(١) سورة الحج الآية ٢٤.

٢ – اشتماله على الأحاديث النبوية الشريفة، وما فيها من توجيهات قويمة، وأحكام جليلة، وآداب رفيعة، وفضائل عظيمة، التى يؤدى الالتزام بها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة.

٣ – مراعاة الداعية فيه أحوال الناس، من السرور والنعم ويسوق لهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطابقة لتلك الحالة، وإن نزلت بهم المصائب والمحن ركز حديثه على العلاج النافع والدواء السليم الذى يخفف من تلك المصائب أو إزالتها.

٤ – التأثر بالأحداث والقضايا والمشكلات المجتمعية للأمة، ويتناولها بالأسلوب الحكيم ويعالجها بالطريق القويم، بالأدلة المتنوعة من الشريعة الإسلامية.

٥ – أن يكون مبنياً على الصدق والإخبار بالحق بما لا تحوم حوله شبهة، ولا يقاربه ما يخالف الحقيقة، فيكون صادقاً فى ألفاظه، ومقاصده، وتفسيره للأمور، وفى إخلاص من ينطق به، وفى شجاعته فى أدائه بحكمة وموعظة حسنة.

٦ – أن يكون مبنياً على الحقائق الثابتة، وعلى الأدلة الناصعة وعلى الحجج والبراهين التى تخرس الألسنة الكاذبة الباطلة البعيدة عن الحق، ولا يعتمد على الخرافات أو الأقاويل التى لا أساس لها من النقل الصحيح أو العقل السليم.

٧ – أن يكون قائماً على الاعتدال والتوسط، معتدلاً فى لفظه ومعناه ومادته، ومتوسطاً فى عرضه ووقته، وعلى القائم والمتحدث به أن يكون ملتزماً بالاعتدال والتوسط فى أدائه لأن شريعة الإسلام تقوم عليهما.

٨ – أن يراعى أحوال المخاطبين، فيخاطب المثقفين والذين عندهم قسط من العلم بخطاب يتناسب مع مستوى ثقافتهم وعلمهم، وأما غيرهم فلهم خطاب آخر يتناسب مع فهمهم للأمور، وتقبلهم لما يخاطبون به، واقتناعهم لما يقال لهم ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

٩ – أن يتزود الدعاة القائمون به بجانب ثقافتهم الدينية الأصيلة الواسعة بألوان من العلوم الأخرى، وامتلاكهم أفضل أساليب الدعوة، والتحلى بالتواضع والتزام الأسلوب المهذب، وكافة الصفات الحميدة.

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

السمات الأساسية للخطاب الدينى المعاصر:

فـى ظل التنامى الواضـح فى إدراك القائمين بمهمة الدعوة الإسـلامية بماهية الخطـاب الدينى المجدد وفلسـفته القائمة على تلبيـة احتياجات المجتمع والأمة الإسـلامية من هذا الخطـاب فى ظل العولمة والمتغيرات الدوليـة والثورات العلمية والتكنولوجية الهائلة التى تتطلب إعداد الأفراد دينياً لإكسابهم أخلاقيات التعامل والتعايش مع متطلبات عصر العولمة بإيجابياته وسـلبياته وتدعيم استيعاب الإسلام لكل هذه المتغيرات.

ذلك يجعل الخطاب الدينى المعاصر متميزاً فى رسالته وأهدافه ومحتواه وطريقة عرضه وفلسفته، لذلك فإن هذا الخطاب يتسم بعدة سمات مهمة منها:

١ – الأصالة الدائمة، فى ربانية مصدره المسـتمد من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهـرة، تلك التـى تدعم ثوابت الديـن وأصوله وتؤكـد الجوانب الإيمانية والروحية والأخلاقيات الإسلامية الرفيعة.

٢ – المعاصرة المتجددة، فى القضايا الجديدة التى قد يتعرض لها سواء كانت قضايا دينيـة تتعلق بجانب العبادات أم بجانب المعامـلات فتتطلب معالجة دينية قويمة فى ضوء متطلبات العصر الذى نعيش فيه.

٣ – التـوازن التـام، فى هذا الخطاب المجدد بين قضايـا الأصالة الدينية وقضايا المعاصـرة الحياتيـة فلا يطغى جانـب على الآخر وإنما يـبرز ذلك الخطاب التوازن المقبول بين الأصالة والمعاصرة بما لا يخل بأحدهما على الآخر، فيكون الخطاب الدينى بذلك متجدداً.

٤ – المواكبـة العصريـة، ذلك لكافة القضايا المسـتحدثة والأحـداث الجارية فى المجتمع، فيتفاعل معها بمباشرة دون إرجاء أو إهمال يخل باستيعاب الإسلام لتلك القضايا، بل يتناولها الخطاب الدينى بشـكل يبرز الاستجابة الفورية، والمواكبة المباشرة السريعة لكل القضايا التى تهم المجتمع المسلم.

٥ – عالمية الوجهة، بحيث يقدم لكل فئات المسلمين فى كافة دول العالم باللغة التى يألفونها ويستوعبون بها مضامين الخطاب الدينى والرسالة التى تكمن وراءه،

وقد يقدم أو يتاح لغير المسلمين الاطلاع عليه والاستفادة منه للتعرف الصحيح إلى الإسلام، والرد على ما يثار حوله من تشكيك.

٦ – التعارف والتعايش: اللذان يهدفان إلى تعميق جانب المشاركة من كل طوائف الشعب والوطن سعياً نحو تدعيم المواطنة والوحدة الوطنية، وانطلاقاً من وحدة الأصل الإنساني ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[1].

٧ – التواصل والحوار مع الآخر، فهو خطاب دينى يدعو إلى الحوار بين الحضارات والتواصل بين المسلمين وغير المسلمين، ويدعم فكرة الحوار مع الأديان وقبول الآخر، والانفتاح على ثقافته والاستفادة منها على قدر الثقافة الإسلامية الأصيلة، وتنمية آفاق التواصل مع كل الحضارات فى إطار الإيمان بالتعددية الحضارية الثقافية ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2].

٨ – التكامل والوظيفية، بين كل العلوم المختلفة مع العلوم الدينية فى إطار من الاستفادة المتبادلة بينها لتطوير محتواه، وعرضه بالشكل الذى يشبع أفراد المجتمع ويناسبهم فيستفيد من العلوم الطبيعية والعلوم التكنولوجية وغيرها من أجل التطوير.

٩ – التوسط والاعتدال، بما يجعله بعيداً عن التشدد والتعصب فيعمق لدى أفراد المجتمع الوسطية فى كل الأمور ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[3] بعيداً عن المغالاة والتطرف فى إطار التوجيه النبوى (إن الدين يسر) [رواه البخارى] .

١٠ – المشاركة والفاعلية، فهو خطاب دينى يدعو كافة طوائف الأمة دون النظر إلى الدين أو العقيدة وفى إطار التسامح والتعاون ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[4] بين كافة أفراد المجتمع الواحد، ذلك من أجل نهضة الأمة وتقدم الوطن.

١١ – الوضوح والتناسب، فهو خطاب دينى يتسم بالوضوح فى عرض قضاياه مستمداً مادته من الأصول الإسلامية، وشتى العلوم الأخرى التى ترتبط بتلك القضايا،

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٢) سورة المائدة الآية ٤٨.
(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣.
(٤) سورة المائدة الآية ٢.

فيأخـذ من تلك القضايـا العصرية الموقف الواضح بالأدلـة والبراهين، إضافة لعرضها بطريقة تناسـب جمهور المجتمع على كافة فئاته، وبالأسلوب الذى تفهمه عقولهم قال ﷺ (أمرنا نحن معشر الأنبياء أن ننزل الناس منازلهم وأن نخاطبهم على قدر عقولهم) [رواه مسلم] .

١٢ – التشـاور والاستشـارة، مع أهل الاختصاص خاصة فى القضايا والموضوعات التـى تتطلب الرجوع إلى المختصين فى كافة المجـالات العلمية والاقتصادية ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٢]، كل ذلـك لعـرض القضية الدعوية بطريقة متكاملة من كافة الجوانب المتعلقة بها، حتى تأتى معالجتها بصورة مرضية ومقنعة للآخرين ويتحقق الهدف منها.

كل هذه السمات من شأنها أن تجعل الخطاب الدينى متجدداً متطوراً يلائم قضايا العصر ويحقق أهداف التنمية ويدعم وحدة الأمة ويعمق علاقاتها بالآخرين، ويظهر عالمية الإسـلام واستيعابه لكل المسـتجدات العصرية. ولقد تناول «د. القس إكرام لمعى»[٣] قضية تجديد الخطاب الدينى بالدراسـة والتحليل، منطلقاً من دعوة السيد الرئيس/ حسـنى مبارك، الدعاة إلى تجديد الخطاب الدينى، موضحاً أنها ليسـت دعوة قاصرة على الخطاب الإسـلامى فقط، لكنها تشـمل دعـاة كل الأديان، وأن الحاجة إلى هذا التجديد أصبحت ملحة فى عصر العولمة الحالى عن أى عصر آخر، ولقد بين الآتى:

(أ) أن الخطـاب الدينـى فـى مصر يعد مـن أقوى الخطابات المؤثـرة فى تحريك الجماهير نحو القضايا المختلفة.

(ب) أن الخطاب الدينى قد اكتسب قوة غير عادية بصفة خاصة بعد الأحداث التى مرت بها مصر عام ١٩٦٧ م.

(جـ) ليس المتطلب عزل الخطاب الدينى عن تناول القضايا المجتمعية المتنوعة.

---

(١) سورة النحل الآية ٤٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٣) انظر مرجع رقم (٢٦) .

(د) علـى الخطـاب الدينى تناول كل القضايا وإعلان رأى وتوجه الدين بشـأنها، بحيث يكون ضابطاً أخلاقياً لكل هذه القضايا.

(هـ) أن تجديد الخطاب الدينى قضية قديمة متجددة دائماً وزاد من حدتها والحاجة إليها عصر العولمة وسـقوط الحدود بين الـدول، والدعوة إلى حوار الحضارات، والحضارة الإنسانية الواحدة.

كما بيَّن من خلال حواره أن البعض يعتبر أن الخطاب الدينى بطبيعته غير قابل للتجديد، وأن هناك صعوبة فى ذلك لما يلى:

١ – لأن الخطاب الدينى بطبيعته يتحدث عن المطْلقات، وهذه لا تجديد حولها، لأن الحدود واضحة والدلائل معلنة والمصطلحات لا لبس فيها، فكل من ليس فى جانب منها فهو فى الجانب الآخر كالخير المطلق والشر المطلق.

٢ – لأن الخطاب الدينى يتحدث عن المقدسـات، مؤيدة بكلام الحق تبارك وتعالى المقدس، وأنه لا اجتهاد مع كلام الله تعالى الذى يقدمه الدعاة.

٣ – لأن الخطـاب الدينـى يركز على الـذات والدعوة إلى الانتمـاء وتعليم المبادئ الأساسـية للدين، وهذا كله من أساسـياته، مما يجعل الخطاب بهذا الشكل متجاهلاً للأديان الأخرى، لكثرة حبه لدينه.

٤ – لأن الخطـاب الدينـى بطبيعتـه يرفض الحـوار، لما له من اتجـاه واحد من المتحدث إلى المتلقى، فالمخاطب يقدم تفسيره للنصوص إلى الآخر حسب وجهة نظره، فيجعل الآخر يعتقد أن ذلك اعتداء على المقدسـات وتشويهها، حيث إن التفسير أتى من جانب واحد حسب اعتقاد الآخر.

٥ – لأن الخطـاب الدينـى يتضمن دعوة الآخرين المختلفـين للانضمام إليه، فهو خطـاب دعوة والعدول عن أفكارهم، والانتمـاء إليه ولأصحابه، فهو خطاب دفاعى يحاول الرد على الخطابات الدينية المطروحة على السـاحة والمختلفة معـه، وأيضاً هو خطاب هجومى، يقوم بعمليـة هجوم على هذه الخطابات، ولأنه خطاب إقناع ودعوة، فهو يستخدم كل أدوات الإقناع الممكنة فى سبيل تحقيق هدفه.

لذلك نجد هناك عدة نماذج للخطاب الدينى منها:

الأول: الخطاب الدينى الثائر، وتستخدم فيه المصطلحات التى تهيج النفوس ضد الفساد وأشكاله، ويغلب عليها الصوت المرتفع، الذى يستخدمه الخطيب لإحراج الناس للخروج وهم فى حالة ثورة ضد الفاسدين وغيرهم، فيرون كل من يركب سيارة فارهة فاسداً، وكل من يتبع ديناً آخر كافراً، ويتعاملون معه من هذا المنطلق.

الثانى: الخطاب الدينى الساخر، وفيه يقوم الخطاب بمناقشة عقائد الآخر، المختلف معه بطريقة ساخرة، يسفه فيه ما يؤمن به الآخر، فيؤثر فى الآخرين، ويجعلهم يحتقرون الآخر ويرفضونه.

الثالث: الخطاب الدينى المتهجم، وهو خطاب تهجمى تشاؤمى رافض لكل رأى مختلف أو رؤية مختلفة، ويشجع النفوس ضد أى مظهر للمدنية، وضد أى عقيدة مختلفة.

وكما وضح أن القائمين على الخطاب الدينى غير المتجدد، العائقين لمحاولات التجديد، يعتمدون فى منطقهم على ما يلى:

١ - **خوف الخطيب من تحرر أتباعه فى الفكر**، الذى يلقى بهم فى دائرة الحوار مع النفس والآخرين بعد رفضهم.

٢ - **الحصول على الجماهيرية**، فى ضوء الهجوم على الآخر المختلف معه، مما يثير النفوس لدى الجماهير، وبالتالى يكتسب المتحدثون به الجماهيرية القائمة على الخطاب المتعصب الجامد، لرفض الجماهير الرأى الآخر المختلف لأنها غير قادرة على الحوار.

٣ - **السلطة الخطابية**، والأسلوب الخطابى، الذى يجعل الخطيب هو قوام التعليم الدينى والمستمع هو النتيجة، وهو بذلك يسلب الحق الإنسانى للمستمع فى أن يقدم رأيه وفكره، فالخطيب هو المسيطر والقائم بكل شىء للمستمع الذى عليه القبول دون الحوار والرأى الآخر.

إذاً كيف يصبح الخطاب الدينى متجدداً؟ ذلك يتم من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية مهمة هى:

البعد الأول: ويتعلق بالجانب الإنسانى، الذى يعتبر الإنسان كائناً فى مرحلة الصيرورة، وأنه كائن غير مكتمل، مما يدعوه ذلك لتطوير نفسه، فعلى الخطاب الدينى أن يعيد صنع الإنسان لتحويل الكينونة إلى صيرورة، فالخطاب الدينى يحتاج إلى أن يتفاعل مع مقومات العصر فى تقديم تفسير جديد للدين يتعامل مع صيرورة الإنسان وتغيره المستمر مع العالم المتغير، ويعترف ويتفق بذلك مع حقيقة الوجود الإنسانى المتسامى والمتجه دائماً إلى الأمام يبنى عالم المستقبل بحكمة، ويعتبر الماضى وسيلة لذلك.

البعد الثانى: يتعلق بإعادة تفسير مفهوم الحق، إننا لا نمتلك الحق ولكن الحقيقة أن الحق هو الذى يمتلكنا، ونحن نعبر عما نفهمه من الحق، وإن ذلك لا يدعونا وحتى مع اعتقادنا بامتلاك الحق- أن نفرض ما نملكه على الآخرين لكن أن نقبل الآخر على المستوى الإنسانى، وألا نسلب حق الآخر فى ترديد نفس المفهوم وامتلاك الحق إذا كان ممكنا له ذلك.

البعد الثالث: ويتعلق بالجانب الاتصالى، بما يعنى تحويل الخطاب الدينى إلى حوار حقيقى، من أجل الوعى بالواقع الإنسانى، مما يجعل الإنسان يدخل فى حوار مع نفسه أولاً ثم مع اتباع دينه ثم مع العالم، وهذه العلاقة الحوارية هى التى تخدم الوعى، وتؤدى إلى الحرية وتغيير العالم.

ويقول صاحب الدراسة والتحليل والعرض، ما الذى جعل الرسول ﷺ أن يغير طبيعة الإنسان العربى ليتمكن الإسلام- بهذا التغيير فى أقل من قرن من الزمان- أن ينشر ألويته على معظم العالم آنذاك، لقد تم هذا العمل بمنهج الخطاب الدينى الحوارى، فمنذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها دعوة الإسلام ركز القرآن الكريم على أن يجعل المسلمين يتفكرون فى الكون ويتدبرون واقعهم من أجل أنفسهم، أى إنه وجههم لبدء الجدل مع الكون والطبيعة والآخرين، ذلك ما ولد فى المسلم قناعته لتحرير نفسه من رق الجاهلية والانطلاق إلى تغيير العالم.

«أى تجديد تريدون؟!» ذلك عنوان التحقيق الصحفى الذى أوردته جريدة صوت الأزهر [1] حول موضوع وقضية تجديد الخطاب الدينى، وقد بين التحقيق

(١) العدد ٤٢١، السنة التاسعة، أكتوبر ٢٠٠٧ م.

أن علماء الإسلام اتفقوا على أن التجديد فى الخطاب الدينى مطلب عصرى بشرط عدم المساس بقواعد وثوابت الشريعة الإسلامية.

وقد أكد علماء الإسلام ورجال الأزهر الشريف على الجوانب التالية فى تلك القضية كما ورد فى التحقيق:

أولاً: أن قضية تجديد الخطاب الدينى ليس بالأمر الجديد كما يتصوره البعض بل هو مصطلح إسلامى قديم مستمد من حديث الرسول الكريم ﷺ (إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها) [رواه أبو داود] .

ثانياً: أنه لكى يكون التجديد فى الخطاب الدينى للأفضل ويكون صحيحاً لابد أن يكون العلماء المجددون من العلم بأمور الدين والدنيا والكفاءة وعندهم العلم بالمتغيرات فى كل عصر حتى يستطيعوا التوفيق بين القديم والحديث.

ثالثاً: أن التجديد من الضرورى أن يشمل الشكل والمضمون وألا يمس القواعد والثوابت الخاصة بالشريعة الإسلامية أو يصطدم مع حكم ثابت بالكتاب الكريم والسنة النبوية.

رابعاً: إن التجديد فى الخطاب الدينى لا يعنى تغيير المفاهيم الفقهية، ويقوم على التعددية وقبول الرأى والرأى الآخر، وأن التجديد يتطلب تحديث المفاهيم، ويعد فرضاً دينياً فى الوقت الحالى.

خامساً: أن التجديد فى الخطاب الدينى يعنى تقديم الخطاب الدينى بما يتضمنه من أحكام شرعية بما يتناسب مع روح العصر، وليس المقصود به تبديد الخطاب الدينى، وإنما تجديد الشكل والمضمون دون المساس بثوابت الدين.

سادساً: أن التجديد فى الخطاب الدينى ضرورة عصرية يعالج القضايا العصرية بفكر عصرى متجدد.

وتوافقاً مع ذلك أكدت اللجنة الدينية بمجلس الشعب فى مناقشتها للطلب الذى تقدم به عدد كبير من الأعضاء حول إمكانية تجديد وتوحيد الخطاب الدينى، أن التجديد الدينى ضرورى ومطلوب دون المساس بثوابت الدين الإسلامى، وأن يكون تجديد الخطاب الدينى، تجديدا للوسائل والأدوات فقط وليس تجديداً

للفكـر الدينى نفسـه ، وإحياء علوم الدين بتجديد الوسـيلة والأداء وليس تحديث الفكر والمبدأ لأن الدين الإسلامى لا يتطور ولا يتغير[1].

فالخطـاب الدينى المعاصر الذى يواكب قضايا العصر ومسـتجداته من الممكن أن يخدم القضايا العلمية المستحدثة ويدعمها لدى أفراد المجتمع ، ويكسب هؤلاء الأفراد الوعـى بقيمة التوظيف العملى لـكل تطور علمى يمكن أن يفيد المجتمع والأمة مهما كانت طبيعة هذا التطور أو حتمية الأخذ بنفعية التوظيف السليم لكل مخرجات العلم النافع فى إطار حديث النبى ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) [رواه البخارى ومسلم] .

إن الدعـاة يمكنهم أن يؤدوا دوراً مهماً فى إبـراز تلك القضايا العلمية وتوضيح مدى ضرورة وأهمية الأخذ بها لدى أفراد المجتمع وذلك كما يلى:

(أ) بيان قيمة العلم النافع لخدمة المجتمع من المنظور الإسلامى.

(ب) حث كل أفراد المجتمع للتعاون من أجل التوظيف الناجح للعلم النافع.

(جـ) تقديـر قـدر العلمـاء ودورهم فى خدمـة المجتمـع ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[2].

(د) تقديـر الحاكم أو رئيـس الدولة وتعظيم قدره ودوره فى نهضة المجتمع بما يقدمه من قرارات حكيمة فيما يتعلق بالاستفادة من العلم فى خدمة الأمة.

وحينما يدرك الدعاة ذلك فإن الخطاب الدينى سوف يكون فاعلاً بالقدر والدرجة التى تتمشـى مع قضايا العصر فلا يبدو وكأنه منفصلاً عنها، وأيضاً حينما يدركون أن الأمة تدخل عصراً جديداً من عصور التقدم العلمى يرتقى بها فى ظل وجود صفوة مـن العلماء المتميزين الذين يمكنهم الخطو بثبـات نحو دخول العصر العلمى الذى يتسارع العالم كله للإفادة منه بل وريادته، ونحن لدينا المقومات لذلك، من العلماء والمناخ والقيادة الحكيمة التى تضع الأولويات لخدمة المجتمع ، فحين يدرك الدعاة ذلك سوف تكون رسالة الخطاب الدينى فاعلة تسهم فى تقدم المجتمع قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3].

(١) جريدة أخبار اليوم، العدد ١٦٨٨١، السنة ٥٤، ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٦م.

(٢) سورة فاطر الآية ٢٨.

(٣) سورة الرعد الآية ١١.

ولدينا مثال حي على ذلك.. فحين يصدر رئيس الدولة قراراً بدخول مصر العصر النووي من أجل الاستخدام السلمي للطاقة النووية فمن الضروري أن يحتل قرار مثل هذا منابر الإعلام الديني قال ﷺ (أنتم أعلم بشئون دنياكم) [رواه مسلم] ، ليلقى التأييد العام من فئات المجتمع ويدرك أعضاؤه القيمة العلمية والاقتصادية لذلك القرار ويكسب أفراد المجتمع مزيداً من التقدير للقيادة الحكيمة لمصرنا المحروسة.

هذا ما فعله علماء الأزهر الشريف الذين يثبتون يوماً بعد يوم ريادة الأزهر الشريف في تجديد الخطاب الديني جنباً لجنب مع وزارة الأوقاف، فقد أكدوا أن قرار الرئيس مبارك بدخول مصر عصر الطاقة النووية السلمية قرار حكيم، وأن فيه منفعة اقتصادية كبيرة لمصر، وأن الدين الإسلامي أمر المسلمين بالأخذ بأسباب العلم النافع الذي يساعد الأمة على التقدم والرقي مادام هذا العلم ينفع ولا يضر [1].

إن ذلك إنما يعد تعبيرا عن ملاحقة الخطاب الديني للأحداث الجارية والقضايا المستحدثة مما يجعله خطاباً عصرياً، لكن يتطلب المتابعة المستمرة للدعاة لهذه الأحداث والقضايا والإعداد الجيد لكيفية معالجتها وتناولها عبر الخطاب الديني بما يناسب جمهور المجتمع، وبما يخدم قضايا الأمة، وتلك هي إحدى مهام الإعلام الديني بوسائطه المتعددة، وعلمائه ودعاته الذين لديهم الثقافة العامة التي تمكنهم من تناول ومعالجة القضايا المعاصرة من المنظور الإسلامي.

ولا يغيب عن أحد أو يخفى عليهم أن هناك العديد من القضايا المعاصرة والأحداث الجارية التي تهم الوطن ويغفل الدعاة عنها ولا يلقون لها بالاً، ولا تأخذ نصيباً وحظاً وافراً من الخطاب الديني المعاصر، وذلك قد يكون راجعا إلى عدة أمور منها:

(أ) عدم توفر الثقافة الكافية حول الحدث أو القضية.

(ب) رضاء الداعية في خطابه الديني بقضايا الأصالة دون غيرها.

(ج) عدم إدراك ووعي الداعية لفلسفة تطوير وتجديد الخطاب الديني.

(١) جريدة صوت الأزهر، العدد ٤٢٤، السنة التاسعة، ٩/ ١١/ ٢٠٠٧ م

(د) طبيعة جمهور المجتمع فقد لا تقبل التغيير فى قضايا الخطاب الدينى أو لا تقنع به بدرجة كافية.

(هـ) ضعف قدرة الدعاة على المعالجة الدعوية السليمة لقضايا المعاصرة فى الخطاب الدينى.

وليس أدل على ذلك من القرار التاريخى الذى صدر بدخول مصر العصر النووى ولم يتناوله معظم الدعاة فى خطابهم الدينى بالشكل اللائق بهذا القرار من منظور إسلامى يظهر الحاجة إلى العلم النافع والاستفادة منه فى خدمة الأمة الإسلامية، لذلك وجب على المؤسسة الدعوية المنوط بها تكثيف المتابعة الفنية للدعاة بتبصيرهم بأن يكون لديهم الحس الدينى والوطنى الذى يبرز القضايا الوطنية المختلفة فى محتوى الخطاب الدينى حتى يكون مواكباً للعصر، وكم كنت أنتظر أن يقدم لنا الدعاة خطاباً دينياً حول ذلك تحت مسمى «العلم الحديث وخدمة قضايا الأمة من المنظور الإسلامى» أو تحت مسمى «الإفادة من العلم الحديث ضرورة دينية» لتكون تلك معالجة دينية معاصرة للقضايا المستحدثة.

ولأهمية القضية التى نحن بصددها والمتعلقة بتطوير وتجديد الخطاب الدينى، فقد عقدت بمكة المكرمة المؤتمر الثامن لرابطة العالم الإسلام بعنوان[1] (الخطاب الإسلامى وإشكاليات العصر)[2] فى الفترة من ١٥ – ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧ م، الذى دار حول ثلاثة محاور هى:

(أ) الخطاب وأهميته، ويتناول الخطاب وحاجة الإنسان إليه، دوافعه، أنواعه، أحواله، أهدافه، الخطاب الإنسانى بين الصلاح والفساد، والخطاب قبل الإسلام «دوافعه، أنواعه، أهدافه».

(ب) الخطاب الإسلامى، «التعريف»، الأسس والمقومات، الأسباب، الوسائل والمنطلقات، الخصائص، الأهداف والمقاصد، الخطاب الإسلامى بين الثوابت والمتغيرات، الثوابت، «حقيقة الإلهية»، عصمة النبوة، طهارة الصحابة، الضرورات الخمس، المتغيرات «وهى كل مالم يرد فيه نص قاطع من الكتاب

(١) جريدة صوت الأزهر، العدد ٤٢٦، السنة التاسعة، ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٧ م.

(٢) جريدة الأهرام، العدد ٤٤١٨٣، السنة ١٣٢، ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٧ م.

والسـنة» ، الخطاب الإسلامى بين التأويل الصحيح والفاسد لنصوص الوحى، التأويل الصحيح.. منطلقاته، خصائصه، مقاصده، التأويل الفاسـد «أسـبابه ، مرتكزاته، وسـائله، أهدافه، الخطاب الإسلامى بين الواقع والمأمول؟ الواقع، الهامشـية، الضعف، النظرة الضيقة، ضعف الشمولية، ضعف التناول، جمود الآليات، ضعف الأخذ بمستجدات العصر المتطورة، ضعف جذب الآخر» ، تجديد الآليات والوسائل، القوة فى الطرح، شمولية النظرة، معرفة الآخر، الإقناع فى التنـاول والطرح، معرفة عوامل الزمان والمكان، الولاء لله ورسـوله ﷺ مخاطبة كل قوم بما يعرفون، الأخذ بوسائل التقنية ومستجدات العصر المناسبة.

(جـ) أهم المشكلات والعوائق التى تواجه الخطاب الإسلامى، التشنج، الاسترخاء، التهيج، العولمة، قنوات فضائية مخالفة، الغلو، التطرف، تسـويق الشـبهات والشـهوات، مستجدات العصر، المخالفة، أحقاد وضغائن، موقف الآخرين من الخطاب الإسلامى، الأسباب والعلاج.

□□□